

إعادة التفكير في فلسفة للتربية Rethinking a Philosophy of Education

د. بلقصير مصطفى¹

¹ جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر (الجزائر)، moos743@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/30

تاريخ القبول: 2025/05/17

تاريخ الاستلام: 2023/06/22

ملخص: تهدف هذه المقالة إلى إعادة التفكير في التربية، التي أصبحت اليوم تشكل التحدي المركزي للإنسان، فطالما كان التعليم يشكل أولوية المناقشات باعتباره أول ما يهم الإنسان، ويبدو أنه لم يظهر كإشكالية مثلما هي عليه اليوم، فنحن نعيش حاليًا في تناقض، فبالرغم من الإمكانيات الهائلة التي يوفرها تقدم التقنيات في عصرنا، إلا أننا نشاهد عنفا لم يسمع به من قبل، يتجلى في المظاهر الرهيبة المتمثلة في تدمير الذات بين الشباب (المخدرات والجريمة والانتحار)، بالإضافة إلى المعدلات الغير مقبولة من التسرب المبكر في المدرسة.

فلماذا يفشل الكثير من الشباب - وليس الشباب أيضًا - في إيجاد معنى للحياة؟ إلى ماذا يمكن أن ننسب مثل هذه الحالة المرضية للمجتمع ومثل هذه المأساة بين الشباب؟ يبدو أن البحث والتربية هما الوسيلة الواقعية الوحيدة، لمعالجة هذه الظواهر، كما نفترض أن فلسفة التربية هي المنطلق والأساس.

كلمات مفتاحية: الفلسفة، التربية، التعليم، اللغة، الثقافة.

Abstract: This article aims to rethink education, which has become the central challenge for humanity today. Education has always been a priority in discussions as it is considered the foremost concern for individuals. However, it seems that it has now emerged as a problem unlike before. We are currently living in contradiction. Despite the tremendous possibilities provided by technological advancements in our era, we witness unprecedented violence manifested in alarming phenomena such as self-destruction among young people as well as unacceptable dropout rates in schools. So why do many young people, fail to find meaning in life? What can we attribute such a pathological condition in society? we assume that the philosophy of education is the starting point and foundation.

Keywords: Philosophy; education; learning; language; culture.

1. مقدمة:

يرى الكثير من المفكرين والفلاسفة أن التربية قضية مهمة اليوم، فلا يوجد نقاشات جادة تغذي هذا الموضوع، بداية من طريقة تربية الأطفال إلى حالة المؤسسات التعليمية، وفي الجانب الفلسفي فهو أقل بكثير. لا يتعلق الأمر بأن "فلسفة التربية"، أصبحت محصورة عملياً في الجامعات، بل هي شبه غائبة عن الجامعة بالمعنى الضيق للكلمة.

هناك بوادر رغبة مؤكدة في الشفافية والأصالة والممارسة الحية للنشاط الفلسفي. لكن ينبغي وضعها ضمن منظومة أخلاقية على وجه التحديد، للسيطرة على آثار الفعل التربوي، مما يجعل من الممكن إيجاد نموذج للعملية التربوية. لكن لن يتم ذلك ما لم يتم وضع الموضوع ضمن إطار شمولي كلي، وليس عن طريق إجراءات ميدانية مجزأة، من أجل بلورة رؤية شاملة ومستدامة، باعتبار أن التربية عملية معقدة، تشمل التربية واللغة والثقافة.

هذا الذي يدعونا نفترض ضرورة الفلسفة كمنطلق لأي بحوث وحوارات تأمل تحديد إجراءات تسهم في عملية تربوية ناجعة، تراعي الأطفال والشبان من كل النواحي النفسية والعملية، وهذا ما نسعى إليه في مقالنا إنطلاقاً من الإشكالية التالية:

كيف تستطيع الفلسفة أن تسهم في إنجاح العملية التربوية، وهل هي ضرورية حيث أن غيابها يؤثر عن أي نتائج بحث في العلوم التربوية؟

2. مفهوم فلسفة التربية

لماذا فلسفة التربية؟ في ظل وجود تخصصات مختلفة مثل علم التربية، التعليمية، علم النفس التربوي، علم الاجتماع التربوي وغيرها، مما يصطلح عليها بالعلوم التربوية، فهل هذه العلوم لا تكفي للإجابة عن سؤال: لماذا فلسفة التربية؟ للإجابة على ذلك، ينبغي علينا أولاً العودة إلى سؤال ما هي الفلسفة؟ ثم نقوم بمساءلة معنى التربية ضمن عبارة فلسفة التربية.

1.2 الفلسفة بدايتها يقظة :

موضوع اليقظة في الفلسفة حاضر منذ القدم، وهو أيضاً أساسي في الحكمة الشرقية. ففي الفلسفة البوذية تعني كلمة بودي **Bodhi** "اليقظة"، و "بودا" **Boudha** هو "الشخص المستيقظ"، وعدم اليقظة والجهل يسيران جنباً إلى جنب. كذلك المايا **Mâyâ**، التي تعني حرفياً "الوهم، الخداع، المظهر"، وهي مبدأ عالمي لفلسفة فيداننا.

وبنفس الطريقة عرفت الفلسفة منذ البداية، في العصر اليوناني، فلم يتردد سقراط أبداً في إخبار الأثينيين أنه سيظل يوقظهم، كما ينقل لنا أفلاطون في محاورته الدفاع قوله: "قد أكون مزعجكم كلما باغتكم فأيقظتكم من نعاسكم العميق، ولكم أن تأملوا، إذا ما صفعتُموني صفعة الموت، كما ينصح أنيتس — وما أهون ذلك عليكم — أن يهدأ لكم الرقاد ببقية حياتكم، وأن موته نيام ببقية حياتهم (أفلاطون، 2017، p. 62)، فالحياة التي تخلو من إمتحان النفس ليست جديرة بالبقاء. وقبل سقراط بوقت طويل كان هيراقليطس يوبخ معظم البشر لأنهم يعيشون حياة نائمة أثناء اليقظة (Koninck, 2010, p. 2)

كما أشار أرسطو في كتابه دعوة إلى الفلسفة إلى أن الأضداد الثلاثة للحياة وهي الجنون والنوم والموت وهي كذلك الأضداد للفلسفة لأن "المستيقظ يحيا حياة أعلى درجة من حياة النائم" (أرسطو، د.س، p. 63). النوم ضروري ويمكن أن يكون قوي وجذاب، ولكن لا أحد يرغب في النوم طوال الوقت. و أن يجد نفسه دائماً بعيداً عن الفطرة السليمة أو الجنون أو الحماسة، فالقليلون يرغبون بوعي على الأقل في أن يكونوا هذا "الميت الحي" الذي تحدث عنه أينشتاين بالعبارات التالية: "أجمل ما يمكن أن نشعر به هو الجانب الغامض من الحياة، إنه الشعور العميق الفاني في مهد الفن والعلوم الحقيقية. إن من لم يعد يستطيع أن يشعر بالتساؤل أو بالدهشة حولهما هو رجل ميت تقريبا، وعيناه أطفأتا" (أينشتاين، 2014، p. 17).

يجيبنا عن السؤال التالي بشكل لازم وهو : الفلسفة يقظة على ماذا بالتحديد ؟، والجواب هو الفلسفة يقظة على كلية تجربة الحياة الإنسانية بكل ثرائها وتعقيدها. وإذا كنا

اليوم نعارض هذا "التعقيد" بسبب التجزئة، وانهايار المعرفة، فينبغي التعامل بعقلانية مع هذا التعقيد.

3. معنى التربية في عبارة فلسفة التربية

حياة الإنسان في صيرورة دائمة، منذ اللحظة الأولى حتى الأخيرة، ننمو ونتحلل في وقت واحد بدون توقف، بطرق مختلفة وبدرجات متفاوتة. وحياة الذكاء، وحياة المشاعر، وحياة الحواس، والخيال، والذاكرة، وغيرها، كلها تستمر في نفس الوقت طوال حياتنا وهي حياتنا الحقيقية أكثر بكثير من الحياة المادية المباشرة، التي مع ذلك لا تقل عن جزء من حياتنا أيضا (Koninck, 2010, p. 3).

لكن ما يجب معرفته قبل كل شيء هو أن الاختلاف الأساسي بين تطور الكائنات البشرية وتطور الكائنات الحية الأخرى في هذا العالم، بما في ذلك جميع الحيوانات الأخرى، هو أن الحيوان "يتبع منذ البداية بصورة حتمية طبيعته الغريزية يولد مكتمل التكوين دفعة واحدة" (فيرى, 2016, p. 169). أما الإنسان يتطور بشكل كبير ضد الطبيعة، نلاحظ ذلك منذ الإغريق وبعده في القرون الوسطى.

إذا الحيوانات مبرمجة منذ البداية. كل نوع من أنواع الحشرات لديه دائما الامتثال لطريقة واحدة فقط للقيام بالأشياء، لأن هذا "برنامجها". "بينما لا يزال الإنسان عاريا بغير ما بقي قدميه وبغير غطاء ولا سلاح" (أفلاطون, 2001, p. 89) ، كما جاء في أسطورة إبيميثيوس في محاورة بروتاغوراس، فالإنسان يبدأ ككائن غير محدد ومحتمل. هذه الحقيقة التي يعبر عنها جون جاك روسو بـ "العمق السحيق" (Koninck, 2010, p. 3) حيث يرى روسو أن "معيار التمايز بين الإنسان والحيوان موجود في الحرية، أو كما يقول في "قابلية التحسين" أي قدرة الإنسان طوال حياته" (فيرى, 2016, p. 169). يقول روسو: "لا أبصر في كل حيوان غير آلة محكمة منحها الطبيعة حواساً لتدور بنفسها ولتضمن نفسها، إلى درجة ما، تجاه كل ما يمكن أن يُقوضها أو يُخلُّ بها، وأبصر بالضبط ذات الأشياء في الآلة البشرية مع الفرق القائل: إن الطبيعة وحدها هي التي تصنع كل شيء في أفعال الحيوان بدلاً من قيام

الإنسان بأفعاله عاملاً حُرّاً، وتختار إحدى الآلتين أو تطرح عن غريزة، وتختار الآلة الأخرى أو تطرح عن عمل حر، ومن ثَمَّ لا يستطيع الحيوان أن ينحرف عن القاعدة المفروضة عليه، وإن كان له نفع في هذا الانحراف، والإنسان ينحرف عن مثل هذه القواعد في غير مصلحته، وهكذا فإن حمامة تموت جوعاً بجانب طبقٍ مملوء بأطيب اللحوم، ويموت هُرٌّ على كدسٍ من الفواكه أو الحبوب، وإن استطاع كلُّ منهما أن يتغذى جيداً من الطعام الذي يزدريه إذا ما خطر بباله أن يحاول ذلك" (روسو، 2013، p. 39). بعد هذا العرض نطرح السؤال التالي ما علاقة هذا الاختلاف بين الإنسان والحيوان بموضوعنا فلسفة التربية؟

4. فلسفة التربية عند كانط

أهم نتيجة نستخلصها من الفرق بين الإنسان والحيوان، هي "أنه للبشر ما يمكن تسميته "تاريخية مزدوجة" خلافاً للحيوانات، من جهة هناك التاريخ الفردي للشخص وهو ما ندعوه عادة التربية، ومن جهة أخرى هناك تاريخ الجنس البشري أي تاريخ المجتمعات الإنسانية أي ما نسميه عادة "الثقافة والسياسة" (فيري، 2016، p. 178)، وبالتالي المهمة الأولى والأساسية للإنسان هي التربية، وهي مهمة شاقة ومعقدة.

إنطلاقاً من رؤية جون جاك روسو حول الفرق بين الإنسان والحيوان، يرى إيمانويل كانط في مجال التربية أن "الإنسان هو الكائن الذي يحتاج إلى تربية. ونعني بالتربية العناية (أي الاهتمام بالطفل وتغذيته) والإنضباط والتعليم، جنباً إلى جنب مع التنشئة، على هذا النحو، يجتاز الإنسان ثلاث مراحل: مرحلة الرضيع (يحتاج إلى الرضاعة) ومرحلة الطفل (الذي يحتاج إلى الإنضباط)، ومرحلة التلميذ (الذي يحتاج إلى التعليم)" (كانط، 2022، p. 21) وفي ظل هذه العلاقة الثلاثية، الرضيع، الطفل، والتلميذ، يكون التحدي الأكبر هو التربية، فالتربية حسب كانط هي "أكبر وأصعب مشكلة يواجهها الإنسان، لأن التنور مرتبط بالتربية، وأن التربية مرتبطة بدورها بالتنور" (كانط، 2022، p. 29)، فكيف نخرج من هذا التناقض الظاهري؟

يجيب كانط بالإشارة إلى أن "الإنسان حيوان [...] يحتاج إلى معلم. [...] ولكن من أين يحصل على هذا المعلم ؟ ليس في أي مكان آخر غير الجنس البشري. لكن هذا المعلم، مثله تماماً، حيوان بحاجة إلى معلم" (Koninck, 2010, p. 6)، بعبارة أخرى، التقليد - فعل النقل - والانضباط ضروريان لنا، لنصبح على ما نحن عليه ولتحقيق مجتمعات مدنية عادلة. هذه المهمة هي الأصعب على الإطلاق لأنه كما يقول كانط في عبارة مشهورة: "في خشب منحني مثل الخشب الذي صنع منه الإنسان، لا يمكن نحت أي شيء بشكل مستقيم تمامًا" (Kant, 11 p, 2002). وبالتالي، فإن إمكانية الأفضل، تنطوي على إمكانية حدوث الأسوء؛ لذا "فإن كل نقص في الانضباط والتعليم الذي نلاحظه عند بعض الأشخاص يجعل منهم مربين غير مؤهلين لتلاميذهم" (كانط, 2022, p. 25). لذلك يؤكد برتراند راسل على أنه "لا يكفي في المربي أن يحب الصغار إذ من الضروري أيضاً أن يكون عنده إدراك صحيح للسمو الإنساني" (راسل, د.س, 45 p)، ويصرح: "أن التلاميذ يجب أن يعتبروا غايات لا وسائل [...] فما يكونه الرجل كغاية يندثر عندما يموت، أما ما ينتجه كوسيلة فيبقى على الدهر [...] إن أهمية الإنسان كوسيلة قد تكون للخير أو للشر" (راسل, د.س, 44 p).

إن التربية تحدد حياتنا بأكملها وتغيرها للأفضل أو للأسوء. وبما أن مجمل حياتنا تعتمد بالتالي عليها، فهذا يعني أن هناك فلسفة مسؤولة عن التربية وضرورية للغاية. كما تجدر الإشارة، إلى أن هناك دائماً فلسفة ضمنية للتعليم في كل حياة الإنسان، وغالباً ما تكون غير منتقدة ويمكن أن تتمثل في إنكار الذات. كما أن نفي الفلسفة هو نفسه فلسفة كما يقول أرسطو، لأنه اتخاذ موقف باستخدام الحجج وما إلى ذلك. وبالنظر إلى القول بأنه لا يمكن أن يكون فلسفة للتربية، فهذا سبب إضافي للسعي إلى فلسفة تكون نقدية، وبالتحديد يقظة.

يبقى إذن الهدف المنشود، هو إعادة التفكير في التربية بعمق. يتعلق الأمر، بأنها مسألة مواجهة هذا التحدي المركزي لوجودنا مع احترام قدر الإمكان تعقيده وهدفه، نرى ذلك بشكل واضح أثناء تقدم الإنسان نفسه. لا شيء سيكون أكثر خطأً وضرراً من وجهة نظر

مجزأة، وبالتالي مجردة، للحياة والوجود، وللإنسان على وجه الخصوص، والتي من شأنها أن تكون مختزلة تمنعنا من رؤية التربية بكليتها. لذلك فإن التحدي مروع. وتكمن الصعوبة الرئيسية في حجم المشروع، نظرًا للتعقيد الذي ناقشناه. فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار، قدر الإمكان، الوجود البشري بكل أبعاده. ولكن نظرًا لأن موضوع فلسفة التربية، يتعلق بأنفسنا، فإن مقولة "أعرف نفسك"، تتضمن بطريقة ما ميزة القدرة على اللجوء إلى التجربة الداخلية، عندما يتعلق الأمر بـ "التفكير" و "الحب" والبقية. بالإضافة إلى ذلك، فإن الشعور بالإلحاح يجب أن يوجهنا ويحفزنا.

5. ضرورة الفلسفة لأزمة التربية الراهنة

نعيش اليوم في تناقض مذهل، فهناك الاحتمالات الهائلة التي يوفرها التقدم في عصرنا. في مواجهة عنف لا يُصدق يُرتكب ضد الذات، هناك حالة من التدمير الذاتي للشباب، وخاصة الانتحار، الذي تعاني منه معظم المجتمعات. لماذا لا يجد الكثير من الشباب وبدرجة أقل، معنى للحياة؟ إلى ماذا يمكن أن ننسب مثل هذا المرض في المجتمع، وهذه المأساة عند الشباب؟ البحث والتربية هما الوسيلة الواقعية الوحيدة، للخروج من الأزمة، إضافة إلى ذلك، غير مكلفة للغاية.

في نص مهم بعنوان التربية بعد أوشفيتز، يقول ثيودور أدورنو: "التعليم الوحيد الذي له أي معنى على الإطلاق هو التعليم تجاه التفكير الذاتي النقدي. ولكن بما أنه وفقًا لنتائج علم نفس العمق، فإن جميع الشخصيات، حتى أولئك الذين يرتكبون الفظائع في الحياة اللاحقة، تتشكل في مرحلة الطفولة المبكرة" (Adorno, 2020, p. 2)، فالطفولة المبكرة أمر بالغ الأهمية، ينبغي مراعاتها منذ البداية. التحدي المركزي للتعليم هو تدريب الناس. لكن هذا يتم أولاً وقبل كل شيء من خلال الثقافة. يوضح ذلك فرناند دومون بقوله: "الثقافة هي علم التربية للناس، لا يمكن فصلها عن علم التربية في المجتمع. لا تبدأ التربية بمبادرة من المدارس؛ كل الثقافة هي تربية" (Dumont, 1997, p. 103). كما يقول إليوت "فقد يأتي

التفكك الثقافي على آثار التخصص الثقافي، وهو أقصى ما يمكن أن يعانيه مجتمع من تفكك جذري" (إليوت، 2014، p. 33).

ولأن اللغة كمل يقول فرناند دومون "هي أجمل زهرة في ثقافة ما، فإننا لا نفصلها عن ينابيعها أو جذورها. لأن تدهور اللغة والثقافة والفكر" هو "المأساة الروحية بامتياز، لأنها بالفعل مأساة للعقل" (Dumont, 1997, p. 100). ويضيف مشددًا على أنه "أكبر ظلم، بل أسوأ من الظلم المادي لأنه يؤثر على الفرد في هويته العميقة كشخص بشري" (Dumont, 1997, p. 100)، كما يؤثر في نفس الوقت على مجتمع الأشخاص. لذلك يؤكد الموجهون التربويون في روضات الأطفال الحكومية على أن التربية اللغوية لها مكانة بارزة لأن لغة الكلام تسود وتساند جميع نشاطات الطفل الأخرى" (سبيني، 1991، p. 7).

تعتبر التربية جزء من ثقافة المجتمع، فهي التي تمكنها من الاستمرار والتطور من خلال العمليات التربوية، والثقافة تنتقل عبر الأجيال عن طريق التعلم والتعليم. فالتربية إذا وسيلة من وسائل نشر الثقافة وتعزيزها وبقائها. كما تشير كلمة "ثقافة" على الفور، مثلاً إلى الحياة، إلى شجرة أو حديقة، بدلاً من بعض النماذج الاصطناعية. إنها تقترح استمرارية النمو الخاص بالحياة، والتنمية الذاتية، ولكن أيضاً بعض الهشاشة والاعتماد على البيئة. إن الحياة التي تهمنا هنا هي حياة الروح، وفقاً للصيغة الكلاسيكية، ثقافة العقل- أي التطور الكامل، ليس للشجرة فقط، بل لروح الإنسان نفسه إلى أفضل ما لديه. إنه يشمل الأخلاق والسياسة، وحب الجمال أيضاً، مما يشير إلى جميع القيم التي نربطها بما يسمى "القلب" - وليس الذكاء فقط (Koninck, 2010, p. 10). يمكن التعبير عن هذه الحقيقة الجوهرية بالقول بأن الثقافة تشرك الإنسان بكليته.

كما تندرج الثقافة ضمن ثلاثة قيم دراسية وهي الثقافة والمعلومات والنظام، فالثقافة يحددها ديوي بقوله: "أنها تمثل الاتحاد الحيوي بين كل من التعليم والنظام، إنها ترسم لنا تنشئة الفرد الاجتماعية في نظرته الشاملة للحياة وفي طريقة تعامله معها" (ديوي، د.س، 40 p.). أما "المعلومات تكون حقيقية أو تربوية فقط بقدر ما تنتج من خيالات

وتصورات محددة للمادة القائمة في الحياة الاجتماعية ويعتبر النظام حقيقيا وتربويا فقط بقدر ما يمثل من رد فعل للتعليم على قوى الفرد الخاصة حتى يمكنه إخضاعها لعملية الضبط التي تقوم بها الأهداف الاجتماعية" (ديوي، د.س، 39 p).

ومع ذلك، هناك مغالطة سائدة في مجتمعاتنا اليوم تجعل من الممكن فهم الأزمة التي نتحدث عنها بشكل أفضل. سيكون هناك أزمة في القيم، كما سيكون كذلك أزمة اقتصادية. في حين ندعي أن هناك أزمة أساسية واحدة فقط هي أزمة أخلاقية. ما يسمى بالأزمة الاقتصادية هو نتيجة الأزمة الأخلاقية. والأكثر جذرية من الأزمة الثقافية التي نمر بها لأن الأخلاق جزء مهم من الثقافة. إن الأزمة الاقتصادية ترجع باختصار إلى ثقافة زائفة، إنها ترجع إلى الاقتصاد، أي إلى النظرية التي تضع الاقتصاد في قلب المجتمعات. هذا هو الخطأ المركزي. ومن هنا تكون البطالة وغيرها بسبب الجشع والأنانية (عوامل أخلاقية). لم نكن أبدًا أغنياء بالسلع المادية كما هو الحال اليوم، ولم نكن بهذا الثراء أبدًا منذ أن وضعنا المضاربة فوق الإنتاج. كما أنه لم يتم توزيع هذه البضائع بشكل غير متساو.

وبالتالي، يتأكد أن الخطأ الأساسي هو ثقافي وأخلاقي. إذا وضعنا قوانين السوق وحدها في مركز المجتمع البشري - في نوع من النظرة الغير الواقعية تمامًا، فستعمل هذه القوانين بحرية، وبصورة جامحة، مع الاختلالات المتزايدة التي نلاحظها: هوة بين الأغنياء والفقراء، من أمة إلى أخرى، أو داخل كل واحدة: العالم الثالث، العالم الرابع، إلخ. ما يجب وضعه في المركز هو بالأحرى الإنسان وكرامته. وهذا يحيلنا إلى سؤال حول التدعيات الأساسية للثقافة؟

4. التدعيات الأساسية للثقافة

إن تطور المجتمعات تحدده الثقافة قبل كل شيء، قبل أنماط الإنتاج أو الأنظمة السياسية بوقت طويل. لا يمكننا أن نرى إلى أي مدى تعمل قوى الاتصال الحديثة على إعادة هيكلة العمل السياسي وعالم الاقتصاد والعلم والثقافة نفسه؟ هذه الأولوية للثقافة - وبالتالي الافتقار إلى الثقافة - غالبًا ما يكون لها عواقب وخيمة: ما يسمى بالرجال أو النساء

"العمليين" يحكمون من خلال السماح لأنفسهم بأن تقودهم طرق لفعل الأشياء والآراء الخارجة عن سيطرتهم تمامًا (لن يكونوا قادرين على توجيه أدنى انتقاد لإيديولوجية السوق، على سبيل المثال) والتي يتجاهلون آثارها بسهولة، خاصة عندما يتعلق الأمر بالبشر فقط. وبالتالي لا يمكننا أبدًا أن نقول ما يكفي عن قوة الأفكار، والتي تم توضيحها بشكل مناسب من خلال الاستنتاج الشهير للاقتصادي جون ماينارد كينز، في النظرية العامة للتوظيف والفائدة والمال فيقول: "إن أفكار الاقتصاديين والفلاسفة السياسيين أقوى مما يعتقده عادة، سواء كانوا مخطئين أم مصيبين فالعالم لا يحكمه حقا الكثيرون غيرهم. أما الممارسون الذين يظنون أنفسهم في منأى عن أي تأثيرات فكرية عادة ما يكونوا عبيدا لإقتصادي راحل، أما المجانين الذين في السلطة - الذين تحركهم الأوهام - يستقون جنونهم من بعض الأكاديميين عديي القيمة السابقين بسنوات قليلة[...] لكن الأفكار وليس المصالح الخاصة - أجلا أو عاجلا - هي التي تشكل خطورة كبيرة سواء للخير أو الشر" (كينز، 2010، p. 415)، وهذا ما يؤكد إيزايا برلين في مقولة كان يكررها: "منذ أكثر من مائة عام، حذر الشاعر الألماني هاينه الفرنسيين من التقليل من شأن قوة الأفكار: فالمفاهيم الفلسفية التي نشأت في سكون دراسة الأستاذ يمكن أن تدمر حضارة" (Berlin, 1997, p. 192). ما هو مهم هو أن السمة الأساسية للثقافة، هي أنها تمكننا من العيش حقًا في مجتمع بشري، قبل الاقتصاد. وكما رأينا هناك الإنسان، الذي إذا تمكنا في النهاية من التعرف عليه، فسوف يتحسن الاقتصاد نفسه بسرعة، وبشكل أفضل بلا حدود، لأننا سنتوقف عن تمجيد السوق، وقوانين الجشع، وتعبيد الأداة، إلى أحسن الأحوال.

الثقافة بموضوع التربية فهو أنها تدرج ضمن ثلاثة قيم دراسية وهي الثقافة والمعلومات والنظام، فالثقافة يحددها ديوي بقوله: "أنها تمثل الاتحاد الحيوي بين كل من التعليم والنظام، إنها ترسم لنا تنشئة الفرد الاجتماعية في نظريته الشاملة للحياة وفي طريقة تعامله معها" (ديوي، د.س، 40 p.). أما "المعلومات تكون حقيقية أو تربوية فقط بقدر ما تنتج من خيالات وتصورات محددة للمادة القائمة في الحياة الاجتماعية ويعتبر النظام

حقيقيا وتربويا فقط بقدر ما يمثل من رد فعل للتعليم على قوى الفرد الخاصة حتى يمكنه إخضاعها لعملية الضبط التي تقوم بها الأهداف الإجتماعية" (ديوي، د.س، 39 p).

4. خاتمة:

لن نخرج من أزمة التربية، إلا إذا تم الترويج لتربية نموذجية، وإعادة النظر في الثقافة، واللغة والإنسان في حد ذاته، عبر تعميق البحث في الأسس والمنطلقات الثقافية والفكرية للإنسان منذ طفولته. هذه المهمة كما أوضحنا تقوم بها الفلسفة لتمييزها بالخاصية النقدية والشمولية، فهي المؤهلة لهذه المهمة المعقدة والشاقة.

كما أتضح لنا، أن الأفكار تلعب دورا أساسيا لأي عمل إجرائي مستقبلي، لأن الإجراءات التي لا تكون نتيجة أفكار عميقة وشاملة، لا يمكنها أن تتسم بطابع الإستدامة والنتائج الإيجابية مستقبلا، بل هي ظرفية آنية تزول نجاعتها، بسبب المتغيرات المختلفة. وإذا ما تأكد لنا بأن التربية هي مفهوم واسع يخضع لتغيرات ومنعرجات، تتطلب فكرا عميقا متأنيا، وهذا ما تعدنا به الفلسفة. إن التطور التقني اليوم، بما يقدمه من خدمات متطورة في المجال الرقمي والذكاء الاصطناعي، والذي يؤثر على المجال التربوي بشكل مباشر، أدى إلى إعادة النظر في المقاربة الفلسفية لهذه التقنيات المعاصرة، فلم تعد تكتفي بالتأمل والبحث المجرد، بل إقتحمت هذه المجالات، وظهر ما يعرف بالفلسفة التطبيقية، التي أصبحت تطبق على المجالات التي تبدو غالبا أنها بعيدة عن تناولها، لكن خاصية النقد والمنهجيات المتعددة والحمولة المعرفية والتاريخية لكل العلوم، تمكنها من أن يكون لها دورا رائدا في المجال التربوي. وهذا يجعلنا نؤكد على ضرورة الفلسفة للتربية.

قائمة المراجع

باللغة العربية:

- أرسطو. (د.س.). دعوة للفلسفة (ع. ا. مكايي، ترجمة. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت.
- أفلاطون. (2001). في السفسطائيين والتربية (محاورة بروتاجوراس) ع. قرني، ترجمة. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.
- أفلاطون. (2017). محاورات أفلاطون (ز. ن. محمود، ترجمة. مؤسسة هنداوي. .
- إليوت، ت. (2014). ملاحظات نحو تعريف الثقافة (التنوير للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة.
- أينشتاين، أ. (2014). العالم كما أراه (ف. الحميد، ترجمة. دار التكوين للترجمة والنشر . دمشق.
- ديوي، ج. (د.س.). المبادئ الأخلاقية في التربية (ع. ا. ه. و. ف. الأهواني، ترجمة. الدار المصرية للتأليف والترجمة . مصر.
- راسل، ب. (د.س.). في التربية (س. عبده، ترجمة. منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت، لبنان.
- روسو، ج. ج. (2013). أصل التفاوت بين الناس (ع. زعيتر، ترجمة. كلمات للترجمة والنشر . مصر.
- سبيني، س. (1991). التربية اللغوية للطفل (ف. م. ع. ا. ع. و. ا. ح. ع. الفتاح، ترجمة. دار الفكر العربي . القاهرة.
- فيري، ل. (2016). تعلم الحياة (س. الولي، ترجمة. دائرة الثقافة والسياحة . أبو ظبي.
- كانط، إ. (2022). في التربية (دار الرافيدين . بغداد - العراق.
- كينز، ج. م. (2010). النظرية العامة للتشغيل والفائدة والنقود (إ. عيدروس، ترجمة. كلمة . أبو ظبي.

باللغة الأجنبية:

- Adorno, T. W. (2020). *Education After Auschwitz. Philosophy of Education.*
- Berlin, I. (1997). *The Proper Study of Mankind (Chatto & Wind . London.*
- Dumont, F. (1997). *Raissons Communes (Boréal . Québec.*
- Kant, E. (2002). *Idée d'une histoire universelle au point de vue cosmopolitique (Bibliothèque Paul-Émile-Boulet de l'Université . Québec - Chicoutimi.*
- Koninck, T. D. (2010). *Philosophie de l'éducation pour l'avenir. Québec: Les Presses de l'Université Laval.*